تلاوة القرآن وحفظه أم تلاوته وتدبره

أيهما أفضل!!!

إعداد

د. ناجي بن وقدان

المدينة النبوية

١٤٤١/٦/١٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد:

فإن تلاوة القرآن وتدبر معانيه وتعلمه وتعليمه وحفظه، من أفضل القربات وأجل الطاعات،فهو الحصن الحصين،والنور المبين، والقول الفصل الحكيم،من اعتصم به نجا،ومن اهتدى به كُفِي، هو العصمة الواقية، والنعمة الباقية، والحجة البالغة، والدلالة الدامغة، وهو شفاء لما في الصدور، والحَكَم العدل عند مشتبهات الأمور، وهو الكلام الجزْل، وهو الفصل الذي ليس بالهزل، سراج لا يخبو ضياؤه، وشهاب لا يخمد نوره وسناؤه، وبحر لا يُدرك غورُه، بَهَرت بلاغتُه العقولَ، وظهرت فصاحته على كل مقول،أعجز أهل اللسان والفصاحة ، وعَجَز عن الإتيان بآية من مثله أهل الفصاحة والشعر والبلاغة،الماهر بتلاوته مع السفرة الكرام البررة، فعن عائشة رضي الله عنها قالَتْ: قالَ رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم(الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ وَهُو ماهِرٌ بِهِ معَ السَّفَرةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ، وَالَّذِي يقرَأُ القُرْآنَ ويَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُو عليهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْران) رواه البخاري ومسلم ، وعن أَبي موسى الأَشْعريّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم (مثَلُ المؤمنِ الَّذِي يَقْرَأُ القرآنَ مثَلُ الأُتْرُجَّةِ: ريحُهَا طَيّبٌ، وطَعْمُهَا طَيّبٌ، ومثَلُ المؤمنِ الَّذي لا يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرةِ: لا رِيح لهَا، وطَعْمُهَا حُلْوٌ، ومثَلُ المنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الرّيحانَةِ: رِيحها طَيّبٌ، وطَعْمُهَا مُرٌّ، ومَثَلُ المنَافِقِ الَّذِي لا يَقْرَأُ القرآنَ كَمَثلِ الحَنْظَلَةِ: لَيْسَ لَها رِيحٌ، وَطَعْمُهَا مُرٌّ) رواه البخاري ومسلم ، وعن عمرَ بن الخطابِ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ (إِنَّ اللَّه يَرْفَعُ بِهذَا الكِتَابِ أَقوامًا، ويضَعُ بِهِ آخَرين) رواه مسلم. وعنِ ابن عمر رضي اللَّه عنهما، عن النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ (لا حَسَدَ إِلَّا في اثنَتَيْن رجُلٌ آتَاهُ اللَّه القُرآنَ، فهوَ يقومُ بِهِ آناءَ اللَّيلِ وآنَاءَ النَّهَارِ، وَرجُلٌ آتَاهُ اللَّه مَالًا، فهُو يُنْفِقهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النهارِ) متفقٌ عَلَيْهِ.

وجعل الله الخيرية لباسا لمن تعلم كتاب الله وعلمه للناس خالصا مريدا بعمله وجه الله والدار الآخرة، فهو خير الناس وأفضلهم،وأقربهم إلى الله،فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال(خَيْرُكُمْ مَن تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وعَلَّمَهُ) رواه البخاري ،إلى غير ذلك من الأحاديث والآثار التي تدل على فضل القرآن علما وتعليما. وللسلف رحمهم الله أقوال تكتب بمداد الذهب في فضل كتاب الله علما وتعليما وتربية،ومن ذلك قول ابن مسعود رضي الله عنه(إذا أردتم العلم فانثروا القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين) وقال أبو هريرة رضي الله عنه(إن البيت الذى يتلى فيه القرآن اتسع بأهله وكثر خيره وحضرته الملائكة وخرجت منه الشياطين ، وإن البيت الذي لايتلى فيه كتاب الله عز وجل ضاق بأهله وقل خيره وخرجت منه الملائكة وحضرته الشياطين) ،وقال الفضيل بن عياض رحمه الله(ينبغي لحامل القرآن أن لا يكون له إلى أحد حاجة ولا إلى الخلفاء فمن دونهم فينبغي أن تكون حوائج الخلق إليه)،وقال أيضا (حامل القرآن حامل راية الإسلام فلا ينبغي أن يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو تعظيما لحق القرآن).

وللناس في هذا المقام مشارب وتفاوت في العلم والتعلم والقراءة والحفظ والتدبر، فمن الناس

من حرصه على التلاوة والختم بشكل مستمر دون تروي وترتيل وتدبر، بل بهذ وعجلة يكاد ينقطع بها نفسه، همه نهاية السورة وختام المصحف فقط ،وهذه الطريقة وإن كان مأجور عليها بكل حرف حسنة، إلا أنه يفوته حضه من فهم القرآن الكريم ومعرفه مراد الله منه وهو الذي من أجله نزل القرآن،كما قال تعالى(أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) محمد ٢٤، قال قتادة رضي الله عنه(إذا والله يجدون في القرآن زاجرا عن معصية الله, لو تدبره القوم فعقلوه, ولكنهم أخذوا بالمتشابه فهلكوا عند ذلك) وقال عز وجل(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) النساء ٨٢، قال ابن زيد(إن القرآن لا يكذّب بعضه بعضًا، ولا ينقض بعضه بعضًا، ما جهل الناس من أمرٍ، فإنما هو من تقصير عقولهم وجهالتهم)، فالقرآن الكريم بمثابة الدليل العملي للمهمة التي من أجلها أوجَد الله الإنسان عل وجه الأرض.

ومن الناس من يتلوه بتروي وترتيل وحسن صوت، ولكن نفسه وهمته في تزيين الصوت وترنيمه،مما يشده عن التدبر والتطبيق لتعليمات القرآن، فيصبح عنده تناقض في ظاهره وأعماله مع نصوص القرآن، وهذا يخشى عليه من سوء العاقبة،لضعف امتثاله للقرآن.

ومن الناس من يتلوا القرآن حق تلاوته، ويتدبره حق تدبره ويرتله بصوت حسن يعينه على فهمه واستطراد معانيه ،وتطبيقه ما استطاع في حياته، فيكون كما كان السلف قرآنا يمشي على الأرض، فهذا أفضل ممن قبله قد جمع بين المحاسن كلها تلاوة وحسن صوت وختم وتدبر وتطبيق ووصولا للهدف الأسمى الذي من أجله نزل القرآن الكريم، فكان ممن أحل حلاله وحرم حرامه وعمل بمحكمه وآمن بمتشابهه وتلاه حق تلاوته،وبذلك استحق أن يكون من أهل الله وخاصته،وأولياءه وأصفيائه، كم قال عليه الصلاة والسلام ،فعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (إنّ لله أهلين من النّاس، قالوا يا رسول الله من هم؟ قال: هم أهل القرآن، أهل الله وخاصته) رواه ابن ماجه وصححه الألباني.

ولابن باز رحمه الله توجيه كريم حول أهمية تلاوة القرآن وفضلها وتدبره وختمه والعمل به،فقال رحمه الله(فلا ريب أن حفظ القرآن من أفضل القربات ومن أهم الطاعات، ولكنه ليس بواجب بل سنة (يقصد الحفظ)، وذهب جمع من أهل العلم إلى أنه فرض كفاية، لكن يجب أن يحفظ منه ما يجب عليه في الصلاة وهو الفاتحة (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) على كل مسلم أن يحفظ هذه السورة، ويشرع له أن يحفظ ما تيسر معها من السور حتى يقرأ بذلك في صلواته، وإذا تيسر له أن يحفظ الكتاب كله فهذا من نعم الله العظيمة،وينبغي في مثل هذا أن لا يفاضل بين التفرغ لحفظه وبين تلاوته نظرا، بل يجمع هذا وهذا، يجعل وقتا لقراءته نظرا وتدبرا من أوله إلى آخره، يكون له حزب يقرأه كل يوم وكل ليلة من أوله إلى آخره مع التدبر والتعقل، ويكون له وقت آخر يتحفظ به ما تيسر، يبدأ من أواخر القرآن المفصل أو من أول القرآن ويتحفظ، فلا يترك النظر ولا يترك الحفظ، بل إن تيسر له هذا وهذا جمع بينهما، فيجعل وقتا للحفظ ويختار له الأوقات المناسبة التي فيها فراغ باله وعدم أشغاله إما بعد صلاة الفجر، وإما في أثناء الليل وإما في آخر الليل يكون هذا للحفظ،ويجعل أوقاتا أخرى لقراءة النظر كأوقات الصلوات، إذا

حضر المسجد يقرأ نظرا وفي أوقات أخرى يبدأ من الفاتحة ويستمر إلى أن يختم القرآن كما جمعه الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، ثم إذا ختم يعود إلى أوله، وهكذا مع التدبر، مع التعقل وعدم العجلة كما قال عليه الصلاة والسلام (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) فكونه يتعلمه ويتدبره ويتعقله هذا من أهم المهمات، وتعلم المعاني أعظم من تعلم الألفاظ فيجمع بين هذا وهذا، ويقول الله سبحانه: كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ [ص٢٩]، ويقول عز وجل: أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا [محمد٢٤]، قال عبدالله بن مسعود ، وهكذا قال عثمان رضي الله عنهما: كنا إذا تعلمنا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم نتجاوزهن حتى نتعلم معانيهن والعمل بهن، قال: فتعلمنا العلم والعمل جميعا ،وإذا خشي النسيان فلا ينبغي أن يمنعه من التحفظ، بل يتحفظ ويجتهد، ولو فرض أنه نسي شيئا من ذلك لم يضره، وأما حديث: من حفظ القرآن ثم نسيه لقي الله وهو أجذم هذا حديث ضعيف عند أهل العلم ليس بصحيح. فالإنسان إذا تعلم ما تيسر من القرآن ثم نسيه يعود فيدرس ويتعلم، عليه الاجتهاد في هذا الخير العظيم، يعني يشرع له الاجتهاد في هذا الخير العظيم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفسي بيده أنه لأشد تفصيا من الإبل في عقلها فإذا من الله عليه بحفظ ما تيسر فليتعاهده، وإذا فرض أنه فاته شيء من ذلك، نسي شيئا من ذلك فإنه بالتعاهد يعود إليه ما نسيه بتوفيق الله، ولا ينبغي أن يمنعه أبدا ذلك عن الحفظ، لا يقول أخشى أن أنساه لا، يتعلم ويجتهد ويتحفظ ويبذل وسعه والله يعينه يسأل ربه التوفيق والإعانة) إنتهى كلامه رحمه الله.

وليحذر المسلم من ترك القرآن الكريم وهجره، فإن ذلك من أسباب الهلاك والبوار في الدنيا والآخرة،فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد شكا إلى الله هجر قومه للقرآن الكريم ،كما قال عز وجل (وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا) [الفرقان ٣٠] وهجر القرآن الكريم أنواع:

الأول: هجر سماعه والإيمان به، وعدم الإصغاء إليه، قال تعالى (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ) [فصلت ٢٦].

الثاني: هجر العمل به، وعدم الوقوف عند حلاله وحرامه، وإن قرأه وآمَن به،وهجر التحاكم إليه، واستبداله بقوانين بشرية ضرها أقرب من نفعها.

الثالث: هجرُ التداوي والإستشفاء به والشك في حصول الشفاء به،كم قال تعالى (قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) [فصلت ٤٤]، فمَن ترَك التداوي به، طلَبه من غيره، ومعلوم أن الدواء إذا لم يُوافِق الداءَ لم ينفع، فيطلب شفاء دائه من غيره ويهجر التداوي به، وكل هذا داخلٌ في قوله تعالى (وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا) [الفرقان ٣٠] .فالهجر للقرآن قد يوصل صاحبه إلى الكفر البواح كمن لا يؤمن ولا يصدق به ولا يتحاكم إليه،كما قال تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) المائدة ٤٤، وقد يكون هجره عصيانا يوجب التوبة الخالصة،كمن يترك امتثال أوامره واجتناب زواجره، مع بقاء أصل الإيمان معه .

ومن الأمور التي يجدر التنبيه عليها هنا فيما يتعلق بتلاوة القرآن الكريم وأن على المسلم والمسلمة تجنبها:

أولا: عدم قول (صدق الله العظيم) بعد الانتهاء من التلاوة، لأنها من البدع المستحدثة ولم ترد عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه، والمشروع له أن يقف ولا يتلفظ بها،فالنبي صلى الله عليه وسلم عندما قرأ عليه الصحابي شيئا من القرآن الكريم وأراد أن يقف ،قال (حسبك) ولم يقل صدق الله العظيم أو يأمره أن يقولها.

ثانيا: عدم تبليل الأصابع بالريق عند تقليب الصفحات ،وهذا محرم واستهانة بحرمة القرآن كلام الله وامتهانه بالمستقذر من الريق، مما لا يرضاه المرء على نفس من غيره.

ثالثا: عندما يجلس المسلم في المسجد وصناديق المصاحف وحاملاتها أمامه فإنه لا يجوز له توجيه قدميه باتجاهها لأن ذلك من الاستخفاف بالقرآن وامتهانه،ولا يرضى ذلك من غيره عليه.

والمقصود مما سبق كله ،أن التلاوة مع الحفظ والمراجعة والتدبر والتطبيق العملي، هي من أفضل ما قام العبد به تجاه كتاب الله تعالى،وهي الفلاح والنجاح والهداية والنجاة والشفاعة والنور عند العبور على الصراط، وبها يكون العبد قد حقق مراد الله منه،تجاه القرآن الكريم وما كُلِّف به من المهام العظمى في هذه الدنيا، وبها كذلك الوصول إلى منتهى مراد الصالحين وهو الجنة والنظر إلى وجه الله الكريم.

* أنشر تنال لأجر.